|  |
| --- |
| **الكون مبني على الزوجية** |
| **قال تعالى في محكم كتابه ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ان قانون الزوجية متأصل في الموجودات بحيث لا تجد ذرة ولا مجرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهي محكومة بهذا القانون.  من ينظر الى الكون الرحب وما فيه من نجوم وكواكب وهواء وماء وشجر وحجر وحيوان وإنسان يذعن بتكاملية هذا النظام بمعنى ان أحدهما يكمل الآخر وكل يسير وفق نظام وميزان دقيق لا يخرقه ولا يتجاوزه إلا بني آدم الذين حملهم الله سبحانه وتعالى أمانة إدارة أنفسهم بعد أن أرسل لهم الأنبياء ورسم لهم الحدود وبين لهم السنن فحملوا الأمانة ولم يــؤدوها حقها إلا عــباد اللـه الـــمخلصين تارة بظلم وأخرى بجهل قال تعالى إن أعرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا. ومن يتصفح تاريخ البشرية فضلا عن تعاليم الأديان يدرك ان النظام العائلي وزيادة النسل وعدم اختلاط الأنساب والابتعاد عن الخيانات الزوجية والتحلل والابتذال هي قضية نفسية وفطرية فطرت الله التي فطر الناس عليها حتى عند البدائيين والوثنيين والذين لا يعتقدون بأية شريعة فإن فطرتهم تنتفض بين حين وآخر وتتجلى على شكل قانون أو على شكل عادات وتقاليد ولا يتوهم أننا نتوسل بالعادة والتقليد لاثبات ذلك بل نتوسل بالشريعة المطابقة للفطرة فكلما حكم به الشرع حكم به العقل وبالعكس فان اتفاق البشر وتعاهدهم بشتى مللهم ونحلهم وحضاراتهم وأديانهم وقوانينهم على مسألة ما دليل على تأصل تلك المسألة في النفوس وسنستعرض في هذا الفصل بإيجاز بعض ما توصل إليه علماء الطبيعة والحضارات فضلا عن الأديان السماوية في هذا الحقل.  إن هذا الكون المترامي الأطراف من ذرته الى مجرته عبارة عن قبائل وشعوب تبتني على نظام الزوجية فكل عنصر يتشكل من ذرات وكل ذرة تتركب من الكترون سالب و بروتون موجب فإذا زاد عليها النيوترون تركب هو الآخر من شحنتين متعادلتين موجبة وسالبة وان عدد الشحنات الموجبة في كل بروتون يقابلها شحنات بمقدارها سالبة من الاكترونات وان حصول أي خلل في النسب والموازين يوجب اضطراب الذرة وتحاول الذرة العودة الى حالتها المستقرة وذلك بإطلاق طاقة هائلة تسمى بالطاقة الذرية.  وكذا في الكون قوتان أحديهما تكمل الأخرى وهما المغناطيسية والكهربية ولا حياة لأحديهما دون الأخرى ثم المغناطيسية تتركب من قطبين شمالي وجنوبي والكهربية من سالب وموجب على ما ذكره العلماء. في النبات:  قال تعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون فكل نبات يحتوي على عضوا التذكير والتأنيث فإذا نضجا يحصل اللقاح ثم. الثمار نعم هناك أنواعا من النباتات والأشجار لا تحتاج الى هذا العمق والتعقيد بل هي كالإنسان لها عضوان مستقلان يتعاونان فيما بينهما من أجل إيجاد الثمرة كما هو الحال في النخيل وأشجار الباباي وغيرهما.  في الحيوان:  والحيوانات سواء كانت تمشي على أربع أو اثنين أو الزواحف وكذا البرمائيات والأسماك والطيور تخضع لقانون الزوجية يقول جل ذكره فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه فهي تسعى بسبب القوى المودعة فيها للتناسل والتكاثر والحفاظ على نوعها فتسدى ألامهات الحنان لصغارها بعد الولادة أو التفريخ وتهيئ لها الجو الملائم لنموها واشتداد قواها وتدافع عنها دفاعا مستميتا في قبال الأخطار التي تحيق بها.  ثانيا قانون الزوجية لدى الحضارات البشرية.  لا شك ان هناك فوارق بين الإنسان والحيوانات العجماوات فهو مخير ومريد بينما هي مسيرة ومضطرة.  ولا شك ان هناك اختلافا بين الناس في الأنظمة والقوانين يصل في بعض الأحيان الى حد التناقض والتضاد وهذا الاختلاف لا يصلح ان نتخذه قانونا للنظام الزوجي الأمثل بل ان هذا المختصر لا يفي بمختلف المجالات في كيان الأسرة ولكننا. سنتابع الأمور التي انفق عليها الناس من قديم الزمان حضارات وشعوب هي بلا شك تفي بالغرض وخاصة في الزواج والإنجاب والإباحية ونظام الحقوق.** |

|  |
| --- |
| **العلاقات الزوجية في الأديان** |
| **يقول الله سبحانه وتعالى في النهي عن الزنى انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً والتعبير عنه بالفحشاء باستعمال الفعل الماضي الناقص كان يفيد التأبيد والثبوت للحكم نظرا لتجرده تعلى عن الزمان ولحكمة الله الواحدة في الخلق وهذا ليس خاص في الإسلام بل في سائر الأديان لأن الدين عند الله وأحد والفطرة عنده واحدة أيضاً.  ونحن حينما نرجع الى أقوال العديد من الأديان فإنما نرجع إليها بما أنها مؤيدة بما سبق ويلحق من عقل ونقل وفطرة لا بما هي دليل ومصدر.** |

|  |
| --- |
| **في المجوسية** |
| **شجعت الايستاق الأوستا الزواج وبناء الأسرة وإنجاب الأطفال جاء في أحد نصوصها ان الرجل المتزوج افضل كثيرا من الأعزب ومن يعول اسرة افضل كثيرا ممن لا ا سرة له ومن له أبناء افضل بكثير ممن لا ابن له وفي نص آخر انه كلما كثر أبناء الرجل ازداد قربا من ربه فكان الآباء ينظمون شؤون الزواج لمن يبلغ الحلم من أبنائهم ولم يكن يسوغ لرجل ان يبقى بدون زواج وكل مهنة أو عمل يبعد الفرد عن الأسرة فهو مرفوض والطلاق عندهم من الأمور المستهجنة إلا عند العقم أو الزنا وعدم الوفاء بالحياة الزوجية وفي قانون عقوباتهم الاجتماعية حرموا الاستمناء وجعلوا له عقوبة الجلد وكان عقاب من يرتكب الزنا واللواط والسحاق ان يقتلوا كما ان عقوبة الإجهاض عندهم الإعدام.** |
| **في البوذية** |
| **وفي البوذية عقوبة المرأة الزانية ان ترمى فريسة للكلاب أمام الملأ أما شريكها في الجريمة فيشوى حيا على سرير من حديد يحمى حتى درجة الاحمرار.  وان من ينظر الى امرأة بشهوة أو يلمسها تسقط نذوره فنظرة الشهوة تسلب الرجل عقله.** |
| **في الكونفوشيوسية** |
| **كان الصينيون القدماء يعدون امتناع الرجل عن الزواج عيبا خلقيا بضم الخاء وانه جريمة في حق الأسلاف وفي حق الدولة لا تغتفر حتى لرجال الدين وكانوا في أيامهم الأولى يعينون موظفا خاصا عمله ان يتأكد من ان كل رجل في الثلاثين من عمره متزوج وان كل امرأة قد تزوجت قبل العشرين.  ومن أقوال كونفوشيوس إذا قام البيت على أساس سليم أمن العلم وسلم.** |

|  |
| --- |
| **حضارة وادي الرافدين** |
| **يحظى الزواج في حضارة سومر بأهمية بالغة إذ كانوا يحثون على الزواج و نبذ حياة العزوبية وكانت الخيانة الزوجية عندهم جريمة يعاقب عليها القانون بالموت على تفصيل خاص عندهم فالزانيان ان أخذا بالجرم المشهود يوثقان ويلقيان في الماء وان لم يكن بالجرم المشهود فيمكن للمرأة تبرئة نفسها بالقسم. ولم يتفاوت الأمر عند الآشوريين فالأمانة الزوجية مفروضة والخيانة عقابها الموت للفاعلين غرقـا أو يجلدان أو ينتف شعرهما أو تقطع آذانهما كما ان الآشوريين كانوا يدعون لزيادة النسل بقوانين الأخلاق التي سنها بحيث ان هم عدو الإجهاض جريمة خطيرة عقابها الإعدام واعتبروا الضرب المفضي للإجهاض جريمة عقابها الجلد بخمسين جلدة وتشغيل مرتكبها بأعمال السخرة ألاميرية ودفع وزنتين من الرصاص بل تصل في بعض الحالات الى حد الإعدام.  والبابليون خصصوا اكثر من 60 حكما يتعلق بصيانة العائلة والتشديد على الحد من وقوع الزنا وتنفيذ عقوبة الغرق لمرتكبه.** |
| **حضارة المصريين** |
| **كانت النصوص المصرية القديمة تولي الزواج أهمية بالغة فهي تنهى عن الزنا وتهدد مرتكبه بأعنف العقوبات كما يذكر المؤرخون فإن الزوج إذا خان فإنه يتعرض لعقوبة الجلد والزوجة الخائنة تتعرض لجدع الأنف كما كان الزنا أحد المبررات للطلاق عندهم من غير فرق بين الرجل والمرأة.  وفي حضارة اوزيريس المصرية كان الموتى يحملون معهم الى قبورهم وثيقة تثبت عفتهم وعدم خيانتهم الزوجية من أجل الرحمة بهم في الآخرة.** |
| **الحضارات الأوربية القديمة** |
| **في اسبارطه كانت العزوبة جريمة عقابها حرمان العازب من حق الانتخاب ومن مشاهدة المواكب العامة و وفي روما حرموا العزوبية واعتبروها حالة منافية لدينهم يعاقب عليها بالضرب والجلد اعتبارا من سن معين وبمضاعفة الضرائب وبحرمانهم من ارث ذويهم إلا إذا تزوجوا خلال مائة يوم بعد وفاة المورث.  أما الزنا فقد اعتبروه من الموبقات وجعلوا عقوبته الموت أو النفي من البلاد مدى الحياة وكان عقاب من يجهض حاملا النفي أو مصادرة أمواله كما ودونوا القانون اليوليائي الخاص بالزواج وهو يرمي الى تعميم الزواج والدعوة الى زيادة النسل وخفض الضرائب بقدر زيادة الذرية الى ان يبلغ الأولاد ثلاثة فترتفع الضريبة كاملا كما رفعوا القيود عن كل امرأة أنجبت ثلاثة أطفال.  واما قسطنطين فقد جعل الزنا من الجرائم التي توجب الإعدام كما ان هتك العرض في عهد جوستنيان يعاقب عليه بالإعدام ومصادرة الأملاك.** |
| **حضارة القارة الأمريكية القديمة** |
| **ففي حضارة الازتيك في أمريكا الوسطى كان الزنا قبيحا وعقابه الموت خنقا ثم الرجم بالحجارة بدون فرق بين الرجل والمرأة.  وفي حضارة الانكا في بلاد الانديز كان الزواج إلزاميا والعزوبة محرمة وممنوعة وكان هناك مراقب من قبل الانكا يجوب القرى والأرياف لتزويج العزاب.** |
| **حضارة اليابان القديمة** |
| **وفي اليابان القديمة عرفت النساء بألامانة الزوجية ويتهددهن في ذلك عقاب الإعدام فإذا عثر الزوج على زوجته وهي متلبسة بجريمة الزنا كان حقه ان يقتلها مع عشيقها فورا وقد أضاف بعض رؤسائهم ان الزوج إذا قتل زوجته في مثل هذه الحالة وا خلي سبيل الرجل حق عليه هو نفسه عقاب الموت.  وحتى فئة الساموراي المتسابقين الذين كانوا يتشددون في البقاء بدون زواج الى سن الثلاثين كان يتوجب عليهم أيضاً الزواج وإنجاب اثنين على الأقل. وكانت العفة عند اليابانيين فضيلة حتى ان بعض النساء كن يقتلن أنفسهن حين تتعرض عفتهن للخطر.** |
| **الزواج عند العرب الجاهليين ما قبل الإسلام** |
| **لقد اهتم العرب بالانساب ودفعهم اهتمامهم هذا الى التعمق في تنظيم الأسرة والقبائل والشعوب تنظيما دقيقا حتى غدا عندهم علما من العلوم وفنا من الفنون فكانوا يشجعون الزواج المبكر بحيث يبدأ في السن السادسة عشر عند الذكور والثانية عشر أو اقل عند الاناث فإذا بلغت الفتاة الثامنة عشر أو العشرين من دون زواج كانوا ينظرون إليها بإشفاق وكان الحجاب منتشرا في نواحي بلاد العرب باشكال مختلفة. كما انتشرت في اوساطهم عادة الختان حتى للبنات وكانوا يحر مون الزواج بالمحارم وان ارتكاب الفاحشة عندهم قبيح وإذا تمكنوا من الفاعل انزلوا به اشد العقوبات وفي بعض الحالات تفصل الزانية وتعزل في البيت ولا تتزوج حتى يأتيها الموت.** |

|  |
| --- |
| **في الديانة اليهودية** |
| **تنص التعاليم اليهــوديــة عــلى مقت العزوبية باعتبارها خـــطيئة وتلزم مــعـتـنقيها بالزواج بعد سن العشرين كما يرون ان الإجهاض وقتل الأطفال و…من وسائل تحديد النسل جريمة ومن أعمال الكفرة.  وكل بنت أو زوجة تأتي بفاحشة تستحق الرجم بالحجارة وإذا تعرضت المرأة المتزوجة للاغتصاب فيحكم على الرجل بالقتل اما البنت الباكر إذا تعرضت للاغتصاب فعلى مغتصبها دفع غرامة مالية وضمها اليه كزوجة مدى الحياة لاساءته إليها وان المضبوطين بالجرم المشهود يقتلان معا ومن يقذف محصنة دون بينة يحكم عليه بالتعزير والغرامة.** |
| **في الديانة المسيحية** |
| **لا تختلف المسيحية عن اليهودية في هذه القضية لأن المسيح جاء مصدقا لما في التوراة.  ولهذا فقد حرمت المسيحية الإجهاض ووأد الأطفال بحيث سوى بينهما وبين القتل العمدي كما حر م اللواط وذمه أشد الذم.  والثورة الأخلاقية التي فجرها عيسى كانت في واقعها حربا ضد التحريف والتحلل والتفسخ عند بني إسرائيل جاء في الإنجيل سمعتم انه قيل لا تزن اما أنا أقول لكم من نظر الى امرأة يشتهيها فقد زنى بها قلبه فإذا دعتك عينك اليمنى الى الخطيئة فاقلعها وألــقها عنك فإنه خير لك ان يــهلك أحـــد أعضائك ولا يذهــب جســـدك كله لجهنم وقيل من طلق امرأة فليعطها كتاب الطلاق أما أنا فأقول لكم من طلق امرأته إلا في حالة الفحشاء فقد عرضها للزنا.** |

|  |
| --- |
| **الزواج عند الماديين** |
| **وعلى الرغم من كل هذا الوضوح لانسجام الفطرة مع تأسيس بنيان الأسرة والحياة الزوجية وانه لاقوام للنوع الإنساني إلا بالركون اليه وتحصين أركانه إلا انه مع ذلك ترى بعض الأصوات تنادي بالسباحة ضد التيار الإنساني والفطري والتنكر لهذا القانون الكوني وكما حدث العدوان على قانون الذرة حصل العبث في كيان العائلة. وفي حين ان للنظام الكوني رد فعله الطبيعي والمباشر عبر النشاط الإشعاعي فإن كيان العائلة والاجتماع وان لم تكن له ردة الفعل المباشر والسريعة ولكن أثرها ا شد واضخم على امتداد الزمن.  ومن أهم هذه الشعارات التي خرجت عن قانون الفطرة ما قاله فرويد وماركس ودوركهايم فقد جعل الأول الدافع الجنسي هو العامل الأساسي في تطور الإنسان بينما اعتبر الثاني عامل الاقتصاد في حين قال الثالث بالعامل الاجتماعي.  والدليل على بطلان هذه المذاهب هو تناقضها فيما بينها إضافة الى انها قد ابتدعتها الضغوط التي أحاطت بالمجتمع مثلا الضغط الشديد الذي واجه المجتمع من قبل المتسمين بالدين والتناقض الفاضح الذي ظهر عند القيادات الدينية بين القول والعمل ووجود التشريعات المخالفة للفطرة الإنسانية كالتحريم الكنيسي للطلاق ووجود محاكم التفتيش والقمع المتطرف لكل مخالف والتناقض الاجتماعي بين طبقة الأعيان والنبلاء وطبقة الفقراء والمساكين و كل هذه الأمور حملت هؤلاء على هذه المذاهب.** |

|  |
| --- |
| **الخلاصة** |
| **بعد هذا البيان السريع للنظام الاسري في الحضارات والأديان يتضح لنا ان البشرية بأسرها متفقة على الدعوة الى الزواج وزيادة النسل باعتبارهما امتداد للنوع الإنساني وعلى استهجان العزوبية وحرمة الفحشاء والخيانة و وهذا الاطباق من أبناء البشر دليل على حقيقته وفطريته والإسلام وان كان لا يقبل العديد من الأحكام والعقوبات المقررة في تلك المذاهب والحضارات كما هو واضح إلا ان حديثنا الآن عن الجامع ونقاط الالتقاء فقط.** |